ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين

ذكر قتل باغر التركي

وفي هذه السنة قتل باغر التركي، قتله وصيف وبغا.

وكان سبب ذلك: أن باغر كان أحد قتلة المتوكل، فزيد في أرزاقه فأقطع قطائع، فكان مما أقطع قرى بسواد الكوفة، فتضمنها رجل من أهل باروسما بألفي دينار، فوثب رجل من أهل تلك الناحية يقال له: ابن مارية، بوكيل لباغر، وتناوله، فحبس ابن مارية وقيد، ثم تخلص وسار إلى سامرا، فلقي دليل بن يعقوب النصراني، وهو يومئذٍ صاحب أمر بغا الشرابي والحاكم في الدولة، وكان ابن مارية صديقاً له، وكان باغر أحد قواد بغا، فمنعه دليل من ظلم أحمد بن مارية، فانتصف له منه، فغضب باغر وباين دليلاً، وكان باغر شجاعاً يتقيه بغا وغيره[1].

فحضر عند بغا في ذي الحجة من سنة خمسين - وهو سكران - وبغا في الحمام، فدخل إليه وقال: من قتل دليلاً يقتل به، فقال له بغا: لو أردت ولدي ما منعتك منه، ولكن اصبر فإن أمور الخلافة بيد دليل، وأقيم غيره، ثم افعل به ما تريد، وأرسل بغا إلى دليل يأمره أن لا تركب، وعرفه الخبر، وأقام في كتابته غيره، وتوهم باغر أنه قد عزله فسكن باغر، ثم أصلح بينهما بغا، وباغر يتهدده، ولزم باغر خدمة المستعين، فقيل ذلك للمستعين. ج٥/٣١٨/ط

فلما كان يوم نوبة بغا في منزله قال المستعين: أيُّ شيء كان إلى إيتاخ من الخدمة؟ فأخبره وصيف، فقال: ينبغي أن تجعل هذه الأعمال إلى باغر، وسمع دليل ذلك، فركب إلى بغا فقال له: أنت في بيتك وهم في تدبير عزلك، فإذا عزلت قتلت، فركب بغا إلى دار الخليفة في يومه، وقال لوصيف: أردت أن تعزلني/؟ فحلف أنه ما علم ما أراد الخليفة، فتعاقدا على تنحية باغر من الدار والحيلة عليه، فأرجفوا له أنه يؤمر

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٧٨)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣٥١)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٤٢)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١٠) بمعناه.

ويخلع عليه، ويكون موضع بغا ووصيف، فأحس باغر ومن معه بالشر، فجمع إليه الجماعة الذين كانوا بايعوه على قتل المتوكل ومعهم غيرهم، فجدد العهد عليهم في قتل المستعين وبغا ووصيف، وقالوا: نبايع علي بن المعتصم أو ابن الواثق، ويكون الأمر لنا كما هو لهذين، فأجابوه إلى ذلك، وانتهى الخبر إلى المستعين فبعث إلى بغا، ووصيف، وقال لهما: أنتما جعلتماني خليفة، ثم تريدون قتلي؟ فحلفا أنهما ما علما بذلك، فأعلمهما الخبر، فاتفق رأيهم على أخذ باغر ورجلين من الأتراك معه، وحبسهم، فأحضروا باغر فأقبل في عدة، فعدل به إلى حمام وحبس فيه، وبلغ الخبر الأتراك، فوثبوا على إصطبل الخليفة فانتهبوه، وركبوا ما فيه، وحصروا الجوسق بالسلاح، فأمر بغا، ووصيف بقتل باغر فقتل[1].

ذكر مسير المستعين إلى بغداد

فلما قتل باغر وانتهى خبر قتله إلى الأتراك المشغبين أقاموا على ما هم عليه، فانحدر المستعين وبغا، ووصيف، وشاهك الخادم، وأحمد بن صالح بن شيرزاد، ودليل إلى بغداد في حراقة، فركب جماعة من قواد الأتراك إلى هؤلاء المشغبين فسألهم الانصراف، فلم يفعلوا، فلما علموا بانحدار المستعين وبغا ووصيف ندموا، ثم قصدوا دار دليل، ودور أهله وجيرانه، فنهبوها حتى صاروا إلى أخذ الخشب، وعليف الدواب، فلما قدموا بغداد مرض ابن مارية، فعاده دليل، فقال له: ما سبب علتك؟ قال: انتقض عقر القيد، فقال دليل: لئن عقرك القيد لقد نقضت الخلافة، وبغيت الفتنة.

ومات ابن مارية في تلك الأيام، وقال بعض الشعراء في ذلك:

لَعَمْرِي لَئِنْ قَتَلُوا بَاغِراً ... لَقَدْ هَاجَ بَاغَرُ حَرباً طَحُونا

وَفَرَّ الخَلِيْفَةُ وَالقَائِدَا ... نِ بِاللَّيْلِ يَلْتَمِسَانِ السَّفِيْنَا

وَصَاحُوا بِمَيْسَانَ مَلَّاحِهِمْ ... فَوَافَاهُمُ يَسْبِقُ النَّاظِرِيْنَا

فَأَلْزَمَهُمْ بَطْنَ حَرَّاقَةٍ ... وَصَوتَ مَجَاذِيْفِهِمْ سَائِرِيْنَا

وَمَا كَانَ قَدْرُ ابْنِ مَارِيَةَ ... فَتَكْسِبَ فِيهِ الحُروبَ الدَّيُونَا

وَلَكِنْ دليلٌ سَعَى سَعْيَةً ... فَأَجْرَى الإِلٰهُ بِهَا العَالَمِينَا

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٧٩ ـ ٢٨١)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٤٢) بمعناه.

فَحَلَّ بِبَغْدَادَ قَبْلَ الشُّرُوقِ ... فَحَلَّ بِهَا مِنْهُ مَا يَكْرَهُونَا
فَلَيْتَ السَّفِينَةَ لَمْ تَأْتِنَا ... وَغَرَّقَهَا اللهُ وَالرَّاكِبِينَا
وَأَقْبَلَتِ التُّرْكُ وَالمَغْرِبُونَ ... وَجَاءَ الفَرَاغِنَةُ الدَارِعِينَا
تَسِيرُ كَرَادِيسُهُمْ فِي السِّلاَحِ ... يَزْجُونَ خَيْلاً وَرَجْلاً بَنِينَا
فَقَامَ بِحَرْبِهِمْ عَالِمٌ ... بِأَمْرِ الحُرُوبِ تَوَلاَّهُ حِينَا
فَجَدَّدَ سُوراً عَلَى الجَانِبَيْنِ ... حَتَى أَحَاطَهُمْ أَجْمَعِينَا
وَأَحْكَمَ أَبْوَابَهَا المُصْمَتَاتِ ... عَلَى السُّورِ يَحْمِي بِهَا المُسْتَعِينَا/
وَهَيَّا مَجَانِيقَ خَطَّارَةً ... تَفُتُّ النُّفُوسَ وَتَحْمِي العَرِينَا[1]

ج٥/٣١٩/ط

ومنع الأتراك الناس من الانحدار إلى بغداد، وأخذوا ملاحاً قد أكرى سفينته، فضربوه وصلبوه على دقلها، فامتنع أصحاب السفن الإسراء، وكان وصول المستعين إلى بغداد لخمس خلون من المحرم من هذه السنة، فنزل على محمد بن عبد الله بن طاهر في داره، ثم وافى بغداد القواد، سوى جعفر الخياط، وسليمان بن يحيى بن معاذ، وقدمها جلة الكتاب والعمال وبني هاشم، وجماعة من أصحاب بغا ووصيف[2].

ذكر البيعة للمعتز بالله

وفي هذه السنة بويع للمعتز بالله، وكان سبب البيعة له: أنه لما استقر المستعين ببغداد أتاه جماعة من قواد الأتراك المشغبين، فدخلوا عليه وألقوا أنفسهم بين يديه، وجعلوا مناطقهم في أعناقهم تذللاً وخضوعاً، وسألوه الصفح عنهم والرضا. قال لهم: أنتم أهل بغي وفساد، واستقلال للنعم، ألم ترفعوا إليَّ في أولادكم فألحقتهم بكم، وهم نحو من ألفي غلام؟ وفي بناتكم فأمرت بتصييرهن في عداد المتزوجات وهن نحو من أربعة آلاف، وغير ذلك كله أجبتكم إليه، وأدررت عليكم الأرزاق، فعملتم آنية الذهب والفضة، ومنعت نفسي لذتها وشهوتها إرادة لصلاحكم ورضاكم، وأنتم تزدادون بغياً وفساداً[3]!؟.

فعادوا وتضرعوا وسألوه العفو، فقال المستعين: قد عفوت عنكم ورضيت، فقال له

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٨١، ٢٨٢).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٨٢).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٨٣)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٤٢) بمعناه.

أحدهم واسمه بابي بك: فإن كنت قد رضيت فقم فاركب معنا إلى سامرا، فإن الأتراك ينتظرونك، فأمر محمد بن عبد الله بعض أصحابه فقام إليه فضربه، وقال محمد: هكذا يقال لأمير المؤمنين قم فاركب معنا؟ فضحك المستعين وقال: هؤلاء قوم عجم لا يعرفون حدود الكلام، وقال لهم المستعين: ترجعون إلى سامرا، فإن أرزاقكم دارة عليكم، وأنظر أنا في أمري، فانصرفوا آيسين منه وأبغضهم ما كان من محمد بن عبد الله إلى بابي بك، وأخبروا من وراءهم خبرهم، وزادوا، وحرضوا تحريضاً لهم على خلعه، فاجتمع رأيهم على إخراج المعتز، وكان هو والمؤيد في حبس الجوسق، وعليهم من يحفظهم، فأخرجوا المعتز من الحبس، وأخذوا من شعره، فكان قد كثر وبايعوا له بالخلافة، وأمر للناس برزق عشرة أشهر للبيعة، فلم يتم المال فأعطوا شهرين لقلة المال عندهم[١].

وكان المستعين خلف بيت المال بسامرا فيه نحو خمسمائة ألف دينار، وفي بيت مال أم المستعين قيمة ألف ألف دينار، وفي بيت مال العباس قيمة ستمائة ألف دينار[٢].

وكان فيمن أحضر للبيعة أبو أحمد بن الرشيد وبه نِقْرِسٌ، في محفة محمولاً، فأمر بالبيعة فامتنع، وقال للمعتز: خرجت إلينا طائعاً، فخلعتها وزعمت أنك لا تقوم بها، فقال المعتز: أكرهت على ذلك وخفت السيف، فقال أبو أحمد: ما علمنا أنك أُكرهت، وقد بايعنا هذا الرجل فتريد أن تطلق نساءنا، ونخرج عن أموالنا، ولا ندري ما يكون إن تركتني على أمري حتى يجتمع الناس، وإلا فهذا السيف، فتركه المعتز[٣]. ج٥/٣٢٠/ط

وكان ممن بايع: إبراهيم الديرج، وعتاب بن عتاب، فأما عتاب فهرب إلى بغداد، وأما الديرج فأقر على الشرط، واستعمل/ على الدواوين وبيت المال والكتابة وغير ذلك، ولما اتصل بمحمد بن عبد الله خبر بيعة المعتز وتوجيه العمال أمر بقطع الميرة عن أهل سامرا، وكتب إلى مالك بن طوق في المسير إلى بغداد هو وأهل بيته وجنده، وكتب إلى نجويه بن قيس وهو على الأنبار في الاحتشاد والجمع، وإلى سليمان بن عمران الموصلي في منع السفن والميرة عن سامرا، فأخذت سفينة ببغداد فيها أرز وغيره، فهرب الملاح وبقيت السفينة حتى غرقت.

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٨٣، ٢٨٤)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٤٢)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١٠).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٨٤)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١٠).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٨٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٤٣).

وأمر المستعين محمد بن عبد الله بتحصين بغداد، فتقدم في ذلك، فأدير عليها السور من دجلة من باب الشماسية إلى سوق الثلاثاء، حتى أورده دجلة، وأمر بحفر الخنادق من الجانبين جميعاً، وجعل على كل باب قائداً، فبلغت النفقة على ذلك جميعه ثلثمائة ألف وثلاثين ألف دينار، ونصب على الأبواب المنجنيقات والعرادات وشحن الأسوار، وفرض فرضاً للعيارين، وجعل عليهم عريفاً اسمه: يبنويه وعمل لهم تراساً من البواري المقيرة، وأعطاهم المخالي ليجعلوا فيها الحجارة للرمي، وفرض أيضاً لقوم من خراسان قدموا حجاجاً، فَسُئِلوا المعونة فأعانوا.

وكتب المستعين إلى عمال الخراج بكل بلدة أن يكون حملهم الخراج والأموال إلى بغداد، لا يحمل منها إلى سامرا شيء، وكتب إلى الأتراك، والجند الذين بسامرا، يأمرهم بنقض بيعة المعتز، ومراجعة الوفاء له، ويذكرهم أياديه عندهم، وينهاهم عن المعصية والنكث، ثم جرت بين المعتز، ومحمد بن عبد الله مكاتبات ومراسلات يدعو المعتز محمداً إلى المبايعة، ويذكره ما كان المتوكل أخذ له عليه من البيعة بعد المنتصر، ومحمد يدعو المعتز إلى الرجوع إلى طاعة المستعين، واحتج كل واحد منهما على صاحبه، وأمر محمد بكسر القناطر، وشق المياه بسطوح الأنبار وبادوريا، ليقطع الأتراك عن الأنبار.

وكتب المستعين والمعتز إلى موسى بن بغا كل واحد منهما يدعوه إلى نفسه، وكان بأطراف الشام؛ كان خرج لقتال أهل حمص، فانصرف إلى المعتز وصار معه، وقدم عبد الله بن بغا الصغير من سامراء إلى المستعين، وكان قد تخلف بعد أبيه، فاعتذر وقال لأبيه: إنما قدمت لأموت تحت ركابك، فأقام ببغداد أياماً، ثم هرب إلى سامراء، فاعتذر إلى المعتز، وقال: إنما سرت إلى بغداد لأعلم أخبارهم وآتيك بها، فقبله المعتز ورده إلى خدمته، وورد الحسن بن الأفشين بغداد، فخلع عليه المستعين وضم إليه جمعاً من الأشروسنية وغيرهم[1].

ذكر حصار المستعين ببغداد

ثم إن المعتز عقد لأخيه أبي أحمد بن المتوكل - وهو الموفق - لسبع بقين من المحرم على حرب المستعين، ومحمد بن عبد الله وولاه ذلك، وضم إليه الجيش، وجعل

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٨٧ ـ ٢٩٠)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١٠) مختصراً، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٤٣، ٤٤)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣٢١).

إليه الأمور كلها، وجعل التدبير إلى كلباتكين التركي، فسار في خمسين ألفاً من الأتراك، والفراغنة وألفين من المغاربة، فلما بلغ عكبرا صلى بها، وخطب للمعتز، وكتب بذلك إلى المعتز، فذكر أهل عكبرا أنهم كانوا على خوف شديد من مسير محمد بن عبد الله إليهم ومحاربتهم، فانتهبوا القرى ما بين عكبرا، وبغداد، فخربت الضياع وأخذ الناس في الطريق، ولما وصل أبو أحمد إلى عكبرا هرب إليه جماعة كبيرة من أصحاب بغا الصغير، ووصل أبو أحمد وعسكره باب الشماسية لسبع خلون من صفر، فقال بعض البصريين، ويعرف بباذنجانة[1]/ :

ج٥ ٣٢١/ط

يَا بَنِي طَاهِرٍ أَتَتْكُمْ جُنُودُ الله ... وَالْمَوْتُ بَيْنَهَا مَنْثُورُ

وَجُيُوشٌ إِمَامُهُمْ أَبُو أَحْـ ... ـمَد نِعْمَ الْمولَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ[2]

ولما نزل أبو أحمد بباب الشماسية ولى المستعين باب الشماسية الحسين بن إسماعيل، وجعل من هناك إلى القواد تحت يده، فلم يزل هناك مدة الحرب إلى أن ساروا إلى الأنبار، فلما كان عاشر صفر وافت طلائع الأتراك إلى باب الشماسية، فوقفوا بالقرب منه، فوجه محمد بن عبد الله الحسين بن إسماعيل، والشاه بن ميكال، وبندار الطبري فيمن معهم، وعزم على الركوب لقتالهم، فأتاه الشاه فأعلمه أن الأتراك لما عاينوا الأعلام والرايات قد أقبلت نحوهم رجعوا إلى معسكرهم، فترك محمد الركوب.

فلما كان الغد عزم محمد على توجيه الجيوش إلى القفص ليعرضهم هناك، وليرهب الأتراك، وركب معه وصيف، وبغا في الدروع، ومضى معه الفقهاء، والقضاة، وبعث إليهم يدعوهم إلى الرجوع عما هم عليه من الطغيان والعصيان، ويبذل لهم الأمان على أن يكون المعتز ولي العهد بعد المستعين فلم يجيبوا، ومضى نحو باب قطربل، فنزل على شاطىء دجلة هو ووصيف وبغا، ولم يمكنه التقدم لكثرة الناس فانصرف، فلما كان من الغد أتاه رسل وجه الفلس، وغيره من القواد يعلمونه أن الترك قد دنوا، وضربوا مضاربهم برقة الشماسية، وأرسل إليهم: لا تبدؤوهم بقتال، وإن قاتلوكم فلا تقاتلوهم، وادفعوهم اليوم، فوافى باب الشماسية منهم اثنا عشر فارساً فرموا بالسهام، ولم يقاتلهم أحد، فلما طال مقامهم رماهم المنجنيقي بحجر، فقتل منهم رجلاً، فأخذوه ورجعوا[3].

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٩٠، ٢٩١)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٤٥).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٩١).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٩٢، ٢٩٣).

وقدم عبيد الله بن سليمان خليفة وصيف التركي من مكة في ثلثمائة رجل، فخلع عليه محمد بن عبد الله، ووافى الأتراك في هذا اليوم باب الشماسية، فخرج الحسين بن إسماعيل ومن معه من القواد لمحاربتهم، فاقتتلوا وقتل من الفريقين وجرح، وكانوا في القتلى والجرحى على السواء، وانهزم أهل بغداد، ثبت أصحاب البواري ثم انصرفوا، واحضر الأتراك منجنيقاً فغلبهم عليه العامة، فأخذوه، ثم سار جماعة من الأتراك إلى ناحية النهروان، فوجه محمد بن عبد الله قائدين من أصحابه في جماعة، وأمرهما بالمقام بتلك الناحية، وحفظها من الأتراك، فسار إليهم الأتراك فقاتلوهم، فانهزم أصحاب محمد إلى بغداد، وأخذت دوابهم، فدخلوا بغداد منهزمين، ووجه الأتراك برؤوس القتلى إلى سامرا، واستولوا على طريق خراسان، وانقطع الطريق عن بغداد، ووجه المعتز عسكراً في الجانب الغربي فساروا إلى بغداد، وجازوا قطربل فضربوا عسكرهم هناك، وذلك لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر[1].

فلما كان من الغد وجه محمد بن عبد الله عسكراً إليهم، فلقيهم الشاه بن ميكال، فتحاربوا، فانهزم أصحاب المعتز، خرج عليهم كمين لمحمد بن عبد الله فانهزموا، ووضع أصحاب محمد فيهم السيف فقتلوهم أكثر قتل، ولم يفلت منهم إلا القليل، ونهب عسكرهم جميعه، ومن سلم من القتل ألقى نفسه في دجلة ليعبر إلى عسكر أبي أحمد، فأخذه أصحاب السفن، وحملوا الأسرى والرؤوس في الزواريق، فنصب بعضها ببغداد، وأمر محمد لمن أبلى في هذا اليوم بالأسورة، والخلع، والأموال، وطلبت المنهزمة، فبلغ بعضهم أوانا، وبعضهم بلغ سامرا، وكان عسكر المعتز أربعة آلاف، فقتل منهم ألفان، وغرق منهم جماعة، وأسر جماعة، فخلع محمد/ على جميع القواد، على كل قائد أربع خلع، وطوق، وسوار من ذهب، وكان عود أهل بغداد عنهم مع المغرب، وكان أكثر العمل في هذا اليوم للعيارين[2].

ج٥/٣٢٢/ظ

وركب محمد بن عبد الله بن طاهر لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر إلى الشماسية، فأمر بهدم ما وراء سورها من الدور، والحوانيت، والبساتين، من باب الشماسية إلى ثلاثة أبواب ليتسع على من يحارب، وقدم مال من فارس، والأهواز مع منكجور الأشروسني، فوجه أبو أحمد الأتراك لأخذه، فوجه محمد بن عبد الله جماعة لحفظ المال، فعدلوا به

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٩٤).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٩٣)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٤٥).

عن الأتراك، فقدموا به بغداد، فلما علم الأتراك بذلك عدلوا نحو النهروان، فقتلوا وأحرقوا سفن الجسر ـ وهي عشرون سفينة ـ ورجعوا إلى سامرا، وقدم محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد، وكان المستعين قلده إمرة الثغور الجزرية، كان بمدينة بلد ينتظر الجنود والمال ليسير إلى الثغور، فلما كان من أمر المستعين والأتراك، ما ذكرنا، سار من بلد إلى بغداد على طريق الرقة في أصحابه وخاصته ـ وهم زهاء أربعمائة ـ فخلع عليه محمد بن عبد الله خمس خلع، ثم وجهه في جيش كثيف لمحاربة أيوب بن أحمد، فأخذ على طريق الفرات، فحاربه في نفر يسير، فهزم محمد وصار إلى ضيعته بالسواد[١].

فلما سمع محمد بهزيمته قال: لا يفلح أحد من العرب إلا أن يكون معه نبي ينصره الله به، وكانت للأتراك وقعة بباب الشماسية، فقاتلوا عليه قتالاً شديداً، حتى كشفوا من عليه ورموا به المنجنيق بالنار والنفط، فلم يحرقه، ثم كثر الجند على الباب، فأزالهم عن موقفهم بعد قتلى وجرحى، ووجه محمد العرادات في السفن، فرموهم بها رمياً شديداً، فقتلوا منهم نحو مائة، وكان بعض المغاربة قد صار إلى السور، فرمي بكلاب فتعلق به، فأخذه الموكلون بالسور ورفعوه فقتلوه، وألقوا رأسه إلى الأتراك، فرجعوا إلى معسكرهم، وأراد بعض الموكلين بالسور أن يصيح: يا مستعين، يا منصور، فصاح: يا معتز، يا منصور، فظنوه من المغاربة فقتلوه، وتقدم الأتراك في بعض الأيام إلى باب الشماسية، فرمى الدرغمان مقدم المغاربة بحجر منجنيق فقتله، وكان شجاعاً، وكان بعض المغاربة يجيء فيكشف استه، ويصيح ويضرط، ثم يرجع، فرماه بعض أصحاب محمد بسهم في دبره، فخرج من حلقه فخر ميتاً، واجتمعت العامة بسامرا ونهبوا سوقي الجوهريين، والصيارفة، وغيرهما، فشكا التجار ذلك إلى إبراهيم المؤيد، فقال لهم: كان ينبغي أن تحولوا متاعكم إلى منازلكم، ولم يصنع شيئاً، ولا أنكر ذلك[٢].

وقدم لثمان بقين من صفر جماعة من أهل الثغور يشكون بلكاجور، ويزعمون أن بيعة المعتز وردت عليه، فدعا الناس إلى بيعته، وأخذ الناس بذلك، فمن امتنع ضربه وحبسه، وأنهم امتنعوا وهربوا، فقال وصيف: ما أظنه إلا ظن أن المستعين مات وقام المعتز، فقالوا: ما فعله إلا عن عمد، فورد كتاب بلكاجور لأربع بقين من صفر يذكر أنه كان بايع المعتز، فلما ورد كتاب المستعين بصحة الأمر جدد له البيعة، وأنه على السمع

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٠٣، ٣٠٤).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٠٥).

والطاعة، فأراد موسى بن بغا أن يسير إلى المستعين، فامتنع أصحابه الأتراك من موافقته على ذلك وحاربوه، فقتل بينهم قتلى، وقدم من البصرة عشر سفائن بحرية في كل سفينة خمسة وأربعون رجلاً ما بين نفاط وغيره، فمرت إلى ناحية الشماسية، فرمى من فيها بالنيران إلى عسكر أبي أحمد، فانتقلوا إلى موضع لا ينالهم شيء من النار، ولليلة بقيت من صفر تقدم الأتراك إلى أبواب بغداد، فقاتلوا عليها، فقتل من الفريقين جماعة كثيرة، ودام القتال إلى العصر[١].

ج٥/٣٢٣/ط

وفي ربيع الأول عمل محمد بن عبد الله كافركونات وفرقها على العيارين، فخرجوا بها إلى أبواب بغداد، وقتلوا من/ الأتراك نحواً من خمسين رجلاً[٢].

ولأربع عشرة خلت من ربيع الأول قدم مزاحم بن خاقان من ناحية الرقة، فتلقاه الناس ومعه زهاء ألف رجل، فلما وصل خلع عليه سبع خلع وقلد سيفاً، ووجه المعتز عسكراً يبلغون ثلاثة آلاف، فعسكروا بإزاء عسكر أبي أحمد بباب قطربل[٣].

وركب محمد بن عبد الله في عسكره، وخرج من النظارة خلق كثير، فحاذى عسكر أبي أحمد فكانت بينهم في الماء جولة، وقتل من أصحاب أبي أحمد أكثر من خمسين رجلاً، ومضى النظارة فجاوزوا العسكر بنصف فرسخ، فعبرت إليهم سفن لأبي أحمد، فنالت منهم، ورجع محمد بن عبد الله، وأمر ابن أبي عون برد الناس، فأمرهم بالعود، فأغلظوا له، فشتمهم وشتموه، وضرب رجلاً منهم فقتله، فحملت عليه العامة، فانكشف من بين أيديهم، فأخذ أصحاب أبي أحمد أربع سفائن، وأحرقوا سفينة فيها عرادة لأهل بغداد، وسار العامة إلى دار ابن أبي عون لينهبوها، وقالوا: مايل الأتراك، فانهزم أصحابه وكلموا محمداً في صرفه، فصرفه ومنعهم من أخذ ماله.

ولإحدى عشرة خلت من ربيع الأول وصل عسكر المعتز الذي سيره إلى مقابل عسكر أخيه أبي أحمد عند عُكبرا، فأخرج إليهم ابن طاهر عسكراً، فمضوا حتى بلغوا قطربل وبها كمين الأتراك، فأوقع بهم، ونشبت الحرب بينهم، وقتل بينهما جماعة، واندفع أصحاب محمد قليلاً إلى باب قطربل، والأتراك معهم، فخرج الناس إليهم فدفعوا الأتراك

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٠٥، ٣٠٧).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٠٩).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣١٠).

حتى نحوهم، ثم رجعوا إلى أهل بغداد فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وقتل من الأتراك أيضاً خلق كثير، ثم تقدم الأتراك إلى باب القطيعة، فنقبوا السور، فقتل أهل بغداد أول خارج منه، وكان القتل ذلك اليوم أكثره في الأتراك، والجراح بالسهام في أهل بغداد[١].

وندب عبد الله بن عبد الله بن طاهر الناس، فخرجوا معه، وأمر الموكل بباب قطربل أن لا يدع منهزماً يدخله، ونشبت الحرب، فانهزم أصحاب عبد الله، وثبت أسد بن داود حتى قتل، وكان إغلاق الباب على المنهزمين أشد من الأتراك، فأخذوا منهم الأسرى وقتلوا فأكثروا، وحملوا الأسرى والرؤوس إلى سامرا، فلما قربوا منها غطوا رؤوس الأسرى، فلما رآهم أهل سامرا بكوا وضجوا، وارتفعت أصواتهم، وأصوات نسائهم، فبلغ ذلك المعتز فكره أن تغلظ قلوب الناس عليه، فأمر لكل أسير بدينار، وأمر بالرؤوس فدفنت، وقدم أبو الساج من طريق مكة لأربع بقين من ربيع الأول، فخلع عليه[٢].

وفي سلخ ربيع الأول جاء نفر من الأتراك إلى باب الشماسية، ومعهم كتاب من المعتز إلى محمد بن عبد الله، فاستأذنه أصحابه في أخذه، فأذن لهم، فإذا فيه يذكره ما يجب عليه من حفظ العهد القديم، فإن الواجب عليه أنه كان أول من يسعى في أمره ويؤكد خلافته، فما رد عليه محمد جواب الكتاب، وكانت وقعة بينهم لسبع خلون من ربيع الآخر، قتل من الأتراك سبعمائة ومن أصحاب محمد ثلثمائة[٣].

وفي منتصف ربيع الآخر أمر أبو الساج وعلي بن فراشة، وعلي بن حفص بالمسير إلى المدائن، فقال أبو الساج لمحمد بن عبد الله: إن كنت تريد الجد مع هؤلاء القوم فلا تفرق قوادك واجمعهم، حتى تهزم هذا العسكر المقيم بإزائك، فإذا فرغت منهم فما أقدرك على من بعدهم، فقال: إن لي تدبيراً، ويكفي الله، إن شاء الله، فقال أبو الساج: السمع والطاعة! وسار إلى المدائن وحفر خندقها، وأمده محمد بثلاثة آلاف فارس وألفي راجل، وكتب المعتز إلى أخيه أبي أحمد يلومه للتقصير في قتال أهل بغداد، فكتب إليه في الجواب/ : ج٥ ٣٢٤/ط

لأَمْرِ الْمَنَايَا عَلَيْنَا طَرِيقُ ... وَلِلدَّهْرِ فِينَا اتِّسَاعٌ وَضِيقُ

وَأَيَّامُنَا عِبْرَةٌ لِلأَنَامِ ... فَمِنْهَا الْبُكُورُ وَمِنْهَا الطُّرُوقُ

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣١١، ٣١٣).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣١٣، ٣١٤).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣١٥).

وَمِنْهَا هَنَاتٌ تُشِيبُ الوَلِيد ... وَيُخْذَلُ فِيهَا الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ
وَفِتْنَةُ دَيْنٍ لَهَا ذُروة ... تَفُوقُ العُيون وَبَحْرٌ عَمِيقُ
قِتَالٌ مَتِينٌ وَسَيْفٌ عَتِيدٌ ... وَخَوْفٌ شَدِيدٌ وَحِصْنٌ وَثِيقُ
وَطُولُ صِيَاحٍ لِداعِي الصَّبَاحِ الـ ... ـسِّلاَحَ السِّلاحَ فَمَا يَسْتَفِيقُ
فَهَذَا طَرِيحٌ وَهَذَا جَرِيحٌ ... وَهَذَا حَرِيقٌ وَهَذَا غَرِيقُ
وَهَذَا قَتِيلٌ وَهَذَا تَلِيلٌ ... وَآخَرَ يَشْدَخُهُ المِنْجَنِيقُ
هُنَاكَ اغْتِصَابٌ وَثَمَّ انْتِهَابٌ ... وَدُورُ خَرَابٍ وَكَانَتْ تَرُوقُ
إِذَا مَا شَرَعْنَا إلى مَسْلَكٍ ... وَجَدْنَاهُ قَد سُدَّ عَنَّا الطَّرِيقُ
فَبِالله نَبْلُغُ مَا نَرْتَجِي ... وَبِالله نَدْفَعُ مَا لاَ نُطِيقُ[1]

وهذه الأبيات لعلي بن أمية في فتنة الأمين والمأمون.

ذكر حال الأنبار

وسير محمد بن عبد الله إلى الأنبار نجوبة بن قيس، فأقام بها وجمع بها نحواً من ألفي رجل، وأمده محمد بن عبد الله بألف وخمسمائة، وشق الماء من الفرات إلى خندقها، ففاض على الصحارى فصار بطيحة واحدة، وقطع القناطر[2].

وسيّر المعتز جنداً مع علي الإسحاقي نحو الأنبار، فوصلوا ساعة وصلها مدد محمد وقد نزلوا ظاهرها، فاقتتلوا أشد قتال، فانهزم مدد محمد بن عبد الله، ورجعوا في الطريق الذي جاؤوا فيه إلى بغداد، وكان نجوبة بالأنبار لم يخرج منها، فلما بلغه هزيمة مدده، ومسير الأتراك إليه، عبر إلى الجانب الغربي وقطع الجسر وسار نحو بغداد، فاختار محمد بن عبد الله إنفاذ الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم إلى الأنبار في جماعة من القواد والجند، فجهزهم وأخرج لهم رزق أربعة أشهر، وخرج الجند، وعرضهم الحسين، وسار عن بغداد يوم الخميس لسبع بقين من جمادى الأولى، وتبعه الناس والقواد وبنو هاشم إلى الياسرية[3]. ج٥/٣٢٥/ط

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣١٦).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣١٨).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣١٩، ٣٢٠).

وكان أهل الأنبار/ لما دخلها الأتراك قد أمنوهم، ففتحوا دكاكينهم وأسواقهم، ووافاهم سفن من الرقة تحمل الدقيق والزيت وغير ذلك، فانتهبها الأتراك وحملوها إلى منازلهم بسامرا، ووجهوا بالأسرى وبالرؤوس معها، وسار الحسين حتى نزل دمما، ووافته طلائع الأتراك فوق دمما، فصف أصحابه مقابل الأتراك بينهما نهر، وكان عسكره عشرة آلاف رجل، وكان الأتراك فوق دمما، فصف أصحابه، وكان الأتراك زهاء ألف رجل، فتراموا بالسهام، فجرح بينهم عدد وعاد الأتراك إلى الأنبار[١].

وتقدم الحسين فنزل بمكان يعرف بالقطيعة، واسع يحمل العسكر، فأقام فيه يومه، ثم عزم على الرحيل إلى قرب الأنبار، فأشار عليه القواد أن ينزل عسكره بهذا المكان بالقطيعة لسعته وحصانته، ويسير هو وجنده جريدة، فإن كان الأمر له كان قادراً على نقل عسكره، وإن كان عليه رجع إلى عسكره، وعاود عدوه، فلم يقبل منهم، وسار من مكانه.

فلما بلغ المكان الذي يريد النزول به أمر الناس بالنزول، فأتت الأتراك جواسيسهم وأعلموهم بمسيره وضيق مكانه، فأتاهم الأتراك والناس يحطون أثقالهم، فثار أهل العسكر وقاتلوهم، فقتل بينهم قتلى من الفريقين، وحمل أصحاب الحسين عليهم فكشفوهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وغرق منهم خلق كثير، وكان الأتراك قد كمنوا لهم كميناً، فخرج الكمين على بقية العسكر، فلم يكن لهم ملجأ إلا الفرات، وغرق من أصحابه خلق كثير، وقتل جماعة وأسر جماعة[٢].

وأما الفرسان فهربوا لا يلوون على شيء، والقواد ينادونهم: الرجعة، فلم يرجع أحد، فخافوا على نفوسهم، فرجعوا يحمون أصحابهم، وأخذ الأتراك عسكر الحسين بما فيه من الأموال والخلع التي كانت معه، وسلم ما كان معه من سلاح في السفن؛ لأن الملاحين حذروا السفن، فسلم ما معهم من سلاح وغير ذلك.

ووصل المنهزمون إلى الياسرية لست خلون من جمادى الآخرة، ولقي الحسين رجل من التجار ممن ذهبت أموالهم، فقال: الحمد لله الذي بيض وجهك، أصعدت في اثني عشر يوماً، وانصرفت في يوم واحد! فتغافل عنه[٣].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٢١).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٢٢).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٢٢، ٣٢٣).

ولما اتصل خبر الهزيمة لمحمد بن عبد الله بن طاهر منع المنهزمين من دخول بغداد، ونادى: من وجدناه ببغداد من عسكر الحسين بعد ثلاثة أيام، ضرب ثلثمائة سوط، وأسقط من الديوان، فخرج الناس إلى الحسين بالياسرية، وأخرج إليهم ابن عبد الله جنداً آخر، وأعطاهم الأرزاق، وأمر بعض الناس ليعلم من قتل ومن غرق ومن سلم، ففعلوا ذلك، وأتاهم كتاب بعض عيونهم من الأنبار يخبرهم أن القتلى كانت من الترك أكثر من مائتين، والجرحى نحو أربعمائة، وأن جميع من أسره الأتراك مائتان وعشرون رجلاً، وأنه عد رؤوس القتلى فكانت سبعين رأساً، وكانوا أخذوا جماعة من أهل الأسواق فأطلقوهم، فرحل الحسين لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الآخرة، وسار حتى عبر نهر أربق[1].

فلما كان السبت لثمانٍ خلون من رجب أتاه إنسان فأعلمه أن الأتراك يريدون العبور إليه في عدة مخاضات، فضربه، ووكل بمواضع المخاض رجلاً من قواده يقال له: الحسين بن علي بن يحيى الأرمني في مائتي رجل، فأتى الأتراك المخاضة، فرأوا الموكل بها، فتركوها إلى مخاضة أخرى فقاتلوهم، وصبر الحسين بن علي، وبعث إلى الحسين بن إسماعيل أن الأتراك قد وافوا المخاضة، فقيل للرسول: الأمير نائم، فأرسل آخر، فقيل له: الأمير في المخرج، فأرسل آخر، فقيل: الأمير قد عاد فنام، فعبر الأتراك، فقعد الحسين بن علي في زورق وانحدر، وهرب أصحابه منهزمين، وقتل الأتراك منهم وأسروا نحو مائتين، وانحدرت عامة السفن فسلمت، ووضع الأتراك السيف، وغرق خلق كثير من الناس، فوصل المنهزمون بغداد نصف الليل، ووافى بقيتهم في النهار، واستولى الأتراك على أثقالهم/ وأموالهم، وقتل عدة من قواد الحسين، فقال الهندواني في الحسين: ج٥ ٣٢٦/ط

يَـا أَحْـزَمَ الـنَّـاسِ رَأْيـاً فِـي تَـخَـلُّـفِـهِ ... عَـنِ الـقِـتَـالِ خَـلـطَـتَ الـصَـفْـوَ بِـالْـكَـدَرِ

لـمّـا رَأَيْـتَ سُـيُـوفُ الـتُّـرْكِ مُـصْـلَـتَـةٌ ... عَـلِـمْـتَ مَـا فِـي سُـيُـوفِ الـتُّـرْكِ مِـنْ قَـدَرِ

فَـصِـرْتَ مُـضْـطَـجِـراً ذلاً وَمَـنَـقـصَـةً ... وَالـنُّـجْـحُ يَـذْهَـبُ بَـيْـنَ الـعَـجْـزِ وَالـضَّـجَـرِ[2]

ولحق فيها جماعة من الكتاب والقواد وبني هاشم بالمعتز، فمن بني هاشم: علي، ومحمد ابنا الواثق وغيرهما[3].

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٢٥).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٢٦).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٢٦).

ثم كانت بينهم عدة وقعات، وقتل فيها من الفريقين جماعة، ودخل الأتراك في بعض تلك الحروب إلى بغداد، ثم تكاثر الناس عليهم فأخرجوهم منها[١].

وجرى بين أبي الساج وجماعة من الأتراك وقعة هزمهم أبو الساج، ثم واقعوه أخرى، فتخلى عنه بعض أصحابه فانهزم، ودخل الأتراك المدائن، وخرجت الأتراك الذين بالأنبار في سواد بغداد من الجانب الغربي، حتى بلغوا صرصر وقصر ابن هبيرة[٢].

وفي ذي القعدة كانت وقعة عظيمة خرج محمد بن عبد الله بن طاهر في جميع القواد والعسكر، ونصب له قبة وجلس فيها، واقتتل الناس قتالاً شديداً، فانهزمت الأتراك. ودخل أهل بغداد عسكرهم، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وهربوا على وجوههم لا يلوون على شيء، فكلما جيء برأس يقول بغا: ذهبت الموالي وساء ذلك من مع بغا، ووصيف من الأتراك، ووقف أبو أحمد بن المتوكل يرد الأتراك، ويخبرهم أنهم إن لم يرجعوا لم يبق لهم بقية، وتبعهم أهل بغداد إلى سامرا فتراجعوا إليه، وإن بعض أهل بغداد رجعوا عن المنهزمين، فرأى أصحابهم أعلامهم، فظنوها أعلام الأتراك قد عادت، فانهزموا نحو بغداد مزدحمين، وتراجع الأتراك إلى عسكرهم، ولم يعلم بهزيمتهم أهل بغداد، فتحملوا عليهم.

وفي ذي الحجة وجه أبو أحمد خمس سفائن مملوءة طعاماً ودقيقاً إلى ابن طاهر[٣].

وفي ذي الحجة علم الناس بما عليه ابن طاهر من خلع المستعين والبيعة للمعتز، ووجه قواده إلى أبي أحمد، فبايعوه للمعتز، وكانت العامة تظن أن الصلح جرى على أن الخليفة المستعين والمعتز ولي عهده[٤].

وفي ذي الحجة أيضاً خرج رشيد بن كاووس أخو الأفشين ـ وكان موكلاً بباب السلامة ـ إلى الأتراك، وسار معهم إلى أبي حامد، ثم عاد إلى أبواب بغداد يقول للناس: إن أمير المؤمنين المعتز وأبا أحمد يقرءان عليكم السلام ويقولان: من أطاعنا وصلناه، ومن أبى فهو أعلم.

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٣٠).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٣٢، ٣٣٣).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٣٧).
(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٣٧).

فشتمه الناس، وعلموا بما عليه محمد بن عبد الله بن طاهر، فعبرت العامة إلى الجزيرة التي حذاء داره، فشتموه أقبح شتم، ثم ساروا إلى باب داره ففعلوا به مثل ذلك، وقاتلوا من على بابه حتى كشفوهم، ودخلوا دهليز داره، وأرادوا إحراق داره فلم يجدوا ناراً، وبات منهم بالجزيرة جماعة يشتمونه وهو يسمع، فلما ذكروا اسم أمه ضحك وقال: ما أدري كيف عرفوه، وقد كان أكثر جواري أبي لا يعرفون اسمها.

فلما كان الغد فعلوا مثل ذلك، فسار محمد إلى المستعين وسأله أن يطلع إليهم ويسكنهم، ففعل، وقال لهم: إن محمداً لم يخلع ولم أتهمه، ووعدهم أن يصلي بهم الجمعة فانصرفوا[1].

ثم ترددت الرسل بين محمد بن عبد الله وبين أبي أحمد مع حماد بن إسحاق بن حماد بن يزيد، وثار قوم من رجالة الجند، وكثير من العامة، فطلب الجند أرزاقهم، وشكت العامة سوء الحال، وغلاء السعر، وقالوا: إما خرجت فقابلت، وإما تركتنا، فوعدهم الخروج، أو فتح باب الصلح، ثم جعل على الجسور وبالجزيرة وبباب داره الرجال والخيل، فحضر الجزيرة بشر كثير، فطردوا من كان بها، وقاتلوا الناس، وأرسل محمد بن عبد الله إلى الجند يعدهم رزق شهرين، وأمرهم بالنزول، فأبوا وقالوا:/ لا نفعل حتى نعلم نحن والعامة على أيِّ شيء نحن، فخرج إليهم بنفسه، فقالوا له: إن العامة قد اتهموك في خلع المستعين، والبيعة للمعتز، وتوجيهك القواد بعد القواد ويخافون دخول الأتراك، والمغاربة إليهم، فإن يفعلوا بهم كما عملوا في المدائن والأنبار، فهم يخافون على أنفسهم، وأولادهم، وأموالهم، وسألوا إخراج الخليفة إليهم ليروه ويكذبوا ما بلغهم، فلما رأى محمد ذلك سأل المستعين الخروج إليهم، فخرج إلى دار العامة ودخل إليه جماعة من الناس، فنظروا إليه وخرجوا فأعلموا الناس الخبر، فلم يقتنعوا بذلك، فأمر المستعين بإغلاق الأبواب، وصعد سطح دار العامة ومحمد بن عبد الله معه، فرآه الناس وعليه البردة، وبيده القضيب، فكلم الناس وأقسم عليهم بحق صاحب البردة إلا انصرفوا فإنه آمن لا بأس عليه من محمد، فسألوه الركوب معهم والخروج من دار محمد؛ لأنهم لا يأمنوه عليه، فوعدهم ذلك.

ج٥/٣٢٧ط

فلما رأى ابن طاهر فعلهم عزم على النقلة عن بغداد إلى المدائن، فأتاه وجوه الناس وسألوه الصفح، واعتذروا بأن ذلك فعل الغوغاء، والسفهاء، فرد عليهم رداً جميلاً،

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٣٧، ٣٣٨).

وانتقل المستعين عن داره في ذي الحجة، وأقام بدار رزق الخادم بالرصافة، وسار بين يديه محمد بن عبد الله بالحربة[١].

فلما كان من الغد اجتمع الناس بالرصافة فأمروا القواد وبني هاشم بالمسير إلى دار محمد بن عبد الله والعود معه إذا ركب، ففعلوا ذلك، فركب محمد في جمع وتعبية، ووقف للناس وعاتبهم، وحلف أنه ما يريد للمستعين، ولا لولي له، ولا لأحد من الناس سوءاً، وأنه ما يريد إلا إصلاح أحوالهم، حتى بكى الناس ودعوا له وسار إلى المستعين[٢].

وكان ابن طاهر مجداً في أمر المستعين، حتى غيره عبد الله بن يحيى بن خاقان، وقال له: إن هذا الذي تنصره، وتجد في أمره من أشد الناس نفاقاً، وأخبثهم ديناً، والله لقد أمر وصيفاً وبغا بقتلك، فاستعظما ذلك ولم يفعلاه، وإن كنت شاكاً في قولي فسل تخبره، وإن من ظاهر نفاقه أنه كان بسامرا لا يجهر ببسم الله الرحمٰن الرحيم في صلاته، فلما صار إليك جهر بها مراءاة لك، وتترك نصرة وليك، وصهرك، وتربيتك، ونحو ذلك من كلام كلمه به، فقال محمد: أخزى الله هذا، ما يصلح لدين ولا دنيا! ثم ظاهر عبيد الله بن يحيى بأحمد بن إسرائيل، والحسن بن مخلد، فلما كان يوم الأضحى صلى المستعين بالناس، ثم حضر محمد بن عبد الله عند المستعين وعنده الفقهاء، والقضاة، فقال له: قد كنت فارقتني على أن تنفذ أمري في كل ما أعزم عليه، وخطك عندي بذلك، فقال المستعين: أحضر الرقعة، فأحضرها، فإذا فيها ذكر الصلح، وليس فيها ذكر الخلع، فقال: نعم أمض الصلح، فخرج محمد إلى ظاهر باب الشماسية، فضرب له مضرب فنزل إليه ومعه جماعة من أصحابه، وجاء أبو أحمد في سمرية فصعد إليه، فتناظرا طويلاً ثم خرجا، فجاء ابن طاهر إلى المستعين فأخبره أنه بذل له خمسين ألف دينار، ويقطع عليه ثلاثين ألف دينار، وعلى أن يكون مقامه بالمدينة، يتردد منها إلى مكة ويخلع نفسه من الخلافة، وأن يعطي بغا ولاية الحجاز جميعه، ويولي وصيف الجبل وما والاه، ويكون ثلث ما يجبى من المال لمحمد بن عبد الله وجند بغداد، والثلثان للموالي والأتراك، فامتنع المستعين من الإجابة إلى الخلع[٣].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٣٩، ٣٤٠)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١٢).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٤١).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٤٢، ٣٤٣).

وظن أن وصيفاً وبغا معه يكاشفانه، فقال: النطع والسيف، فقال له ابن طاهر: أما أنا فأقعد، ولا بد لك من خلعها طائعاً أو مكرهاً، فأجاب إلى الخلع، وكان سبب إجابته إلى الخلع أن محمداً وبغا ووصيفاً لما ناظروه في الخلع أغلظ عليهم، فقال وصيف: أنت أمرتنا بقتل باغر، فصرنا إلى ما نحن فيه، وأنت أمرتنا بقتل أتامش، وقلت: إن محمداً ليس بناصح، وما زالوا يفزعونه، وقال محمد: وقد قلت لي: إن أمرنا لا يصلح إلا باستراحتنا من هذين الاثنين، فلما رأى/ ذلك أذعن بالخلع، وكتب بما أراد لنفسه من الشروط، وذلك لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، وجمع محمد الفقهاء والقضاة وأدخلهم على المستعين، وأشهدهم عليه أنه قد صير أمره إلى محمد بن عبد الله، ثم أخذ منه جوهر الخلافة[1].

ج٥/٣٢٨ط

وبعث ابن طاهر إلى قواده ليوافوه، ومع كل قائد عشرة نفر من وجوه أصحابه، فأتوهم فمناهم وقال لهم: ما أردت بما فعلت إلا صلاحكم وحقن الدماء، وأمرهم بالخروج إلى المعتز في الشروط التي شرطها المستعين لنفسه ولقواده، ليوقع المعتز عليها بخطه، ثم أخرجهم إلى المعتز، فمضوا إليه، فأجاب إلى ما طلبوا ووقع عليه بخطه، وشهدوا على إقراره، وخلع عليهم، ووجه معهم من يأخذ البيعة على المستعين، وحمل إلى المستعين أمه وعياله بعد ما فتشوا، وأخذوا ما معهم، وكان دخول الرسل بغداد من عند المعتز لستٍ خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين[2].

ذكر غزو الفرنج بالأندلس

في هذه السنة سير محمد بن عبد الرحمٰن الأموي ـ صاحب الأندلس ـ جيشاً مع ابنه المنذر إلى بلاد المشركين في جمادى الآخرة، فساروا وقصدوا الملاحة، وكانت أموال لذريق بناحية ألية والقلاع، فلما عم المسلمون بلدهم بالخراب والنهب جمع لذريق عساكره، وسار يريدهم، فالتقوا بموضع يقال له: فج المركوين، وبه تعرف هذه الغزاة، فاقتتلوا، فانهزم المشركون إلا أنهم لم يبعدوا، واجتمعوا بهضبة بالقرب من موضع المعركة، فتبعهم المسلمون وحملوا عليهم، واشتد القتال، فولى الفرنج منهزمين لا يلوون

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٤٤، ٣٤٥).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٤٢ـ ٣٤٥)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١٢، ١٣)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٤٨، ٤٩) مختصراً.

على شيء، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، وكانت هذه الوقعة ثاني عشر رجب، وكان عدد ما أخذ من رؤوس المشركين ألفين وأربعمائة واثنين وتسعين رأساً، وكان فتحاً عظيماً، وعاد المسلمون[١].

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة رجع سليمان بن محمد، صرفه عبد الله بن طاهر إلى طبرستان من جرجان بجمع كثير، وخيل وسلاح، فتنحى الحسن بن زيد عن طبرستان، ولحق بالديلم، ودخلها سليمان وقصد سارية، وأتاه ابنان لقارن بن شهريار، وأتاه أهل آمل وغيرهم، منيبين مظهرين الندم، يسألون الصفح، فلقيهم بما أرادوا ونهى أصحابه عن القتل والنهب والأذى[٢].

وورد كتاب أسد بن جندان إلى محمد بن عبد الله يخبره أنه لقي علي بن عبد الله الطالبي المسمى بالمرعشي فيمن معه من رؤساء الجبل، فهزمه ودخل مدينة آمل.

وفيها ظهر بأرمينية رجلان فقاتلهما العلاء بن أحمد عامل بغا الشرابي فهزمهما، فصعدا قلعة هناك فحصرهما، ونصب عليها المجانيق، فهزما منها، وخفى أمرهما عليه وملك القلعة[٣].

وفيها حارب عيسى بن الشيخ الموفق الخارجي فهزمه وأسر الموفق[٤].

وفيها ورد كتاب محمد بن طاهر بن عبد الله بخبر الطالبي الذي ظهر بالري وما أعد له من العساكر المسيرة إليه وظفر به، واسمه محمد بن جعفر، فأخذه أسيراً، ثم سار إلى الري بعد أسر محمد بن جعفر بن أحمد بن عيسى بن الحسين الصغير بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفيها انهزم الحسن بن زيد من محمد بن طاهر، وكان لقيه في ثلاثين ألفاً، وقتل

---

(١) ذكره ابن عذاري في «بيان المغرب» (٢/ ٩٩).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٠٧).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٠٨).
(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٠٨).

ج٥ / ٣٢٩ ط

من أصحابه أعيان الحسن ثلثمائة رجل وأربعين رجلاً[١].

وفيها خرج إسماعيل بن/ يوسف العلوي ابن أخت موسى بن عبد الله الحسني.

وفيها كانت وقعة بين محمد بن خالد بن يزيد، وأحمد المولد، وأيوب بن أحمد بالسكير من أرض بني تغلب، فقتل بينهما جماعة كثيرة، فانهزم محمد ونهب متاعه[٢].

وفيها غزا بلكاجور الروم، ففتح مطمورة وغنم غنيمة كثيرة، وأسر جماعة من الروم[٣].

[خروج الحسين بن محمد الطالبي وما آل إليه أمره]

وفيها ظهر بالكوفة رجل من الطالبيين اسمه: الحسين بن أحمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، واستخلف بها محمد بن جعفر بن حسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ـ يكنى: أبا أحمد ـ فوجه إليه المستعين مزاحم بن خاقان، وكان العلوي بسواد الكوفة في جماعة من بني أسد، ومن الزيدية، وأجلى عنها عامل الخليفة وهو أحمد بن نصير بن حمزة بن مالك الخزاعي إلى قصر ابن هبيرة، واجتمع مزاحم، وهشام بن أبي دلف العجلي، فسار مزاحم إلى الكوفة، فحمل أهل الكوفة العلوية على قتالهم ووعدهم النصرة، فتقدم مزاحم وقاتلهم، وكان قد سير قائداً معه جماعة، فأتى أهل الكوفة من ورائهم، فأطبقوا عليهم، فلم يفلت منهم أحد، ودخل الكوفة فرماه أهلها بالحجارة، فأحرقها بالنار، فاحترق منها سبعة أسواق حتى خرجت النار إلى السبيع، ثم هجم على الدار التي فيها العلوي، فهرب، وأقام المزاحم بالكوفة، فأتاه كتاب المعتز يدعوه إليه فسار إليه[٤].

وفيها ظهر إنسان علوي بناحية نينوى من أرض العراق، فلقيه هشام بن أبي دلف في شهر رمضان، فقتل من أصحاب العلوي جماعة وهرب فدخل الكوفة[٥].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٠٩).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٢٦، ٣٢٧).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٢٧).
(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٢٧، ٣٢٨).
(٥) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٣٠).

وفيها ظهر الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن علي بن الحسين بن علي - المعروف بالكوكبي - بناحية قزوين، وزنجان، فطرد عمال طاهر عنها[١].

وفيها قطعت بنو عقيل طريق جدة، فحاربهم جعفر بشاشات، فقتل من أهل مكة نحو ثلثمائة رجل، فغلت الأسعار بمكة وأغارت الأعراب على القرى[٢].

[ذكر خروج إسماعيل بن يوسف بمكة]

وفيها ظهر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بمكة، فهرب جعفر بشاشات، وانتهب إسماعيل منزله ومنازل أصحاب السلطان، وقتل الجند وجماعة من أهل مكة، وأخذ ما كان حمل لإصلاح القبر من المال وما في الكعبة وخزائنها من الذهب والفضة وغير ذلك، وأخذ كسوة الكعبة، وأخذ من الناس نحواً من مائتي ألف دينار، وخرج منها بعد أن نهبها وأحرق بعضها في ربيع الأول بعد خمسين يوماً وسار إلى المدينة فتوارى عاملها، ثم رجع إسماعيل إلى مكة في رجب فحصرهم حتى تماوت أهلها جوعاً وعطشاً، وبلغ الخبز ثلاثة أواق بدرهم، واللحم رطل بأربعة دراهم، وشربة ماء بثلاثة دراهم، ولقي أهل مكة منه كل بلاء، ثم سار إلى جدة بعد مقام سبعة وخمسين يوماً، فحبس عن الناس الطعام، وأخذ الأموال التي للتجار وأصحاب المراكب، ثم وافى إسماعيل عرفة وبها محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور الملقب بكعب البقر. وعيسى بن محمد المخزومي صاحب جيش مكة، كان المعتز وجههما إليه، فقاتلهما إسماعيل وقتل من الحاج نحو ألف ومائة، وسلب الناس، وهربوا إلى مكة، ولم يقفوا بعرفة ليلاً ولا نهاراً، ووقف إسماعيل وأصحابه، ثم رجع إلى جدة فأفنى أموالها[٣].

ج٥/٣٣٠ط وفيها مات سري السقطي الزاهد، وإسحاق بن منصور بن بهرام أبو يعقوب الكوسج، الحافظ النيسابوري، توفي في جمادى الأولى، وله مسند يروى عنه/[٤].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٤٦).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٤٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١٣).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٤٦، ٣٤٧).

(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٣٤٦، ٣٤٧)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ١٣، ١٤)، وذكره الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٥٠).